قيل : كيف تصرّفت الحال فينبغي أن يعمل على الأكثر لا على الأقلّ وإن كان الأقلّ أقوى قياسا ألا ترى إلى قوة قياس قول بنى تميم في (ما) وأنها ينبغي أن تكون غير عاملة في أقوى القياسين عن سيبويه . ومع ذا فأكثر المسموع عنهم إنما هو لغة أهل الحجاز وبها نزل القرآن . وذلك (أننا بكلامهم ننطق) فينبغي أن يكون على ما استكثروا منه يحمل . هذا هو (قياس مذهبهم) وطريق اقتفائهم . ووجدت أكثر قافيّـَة رؤبة مجرورة الموضع . وإذا تأملت ذلك وجدته . أعنى قوله : .

(وقاتم الأعماق خاوى المخترق ...) .

وقد التزم العجّاج في رائيّته : .

(قد جبر الدينَ إلاهُ فجبر ...) .

وذلك أنه التزم الفتح قبل رويّها البتة . ولـَعـَمْرِى إن هذا مشروط في القوافي غير أنك قلّـَما تجد قافية مقيدة إلا وأتت الحركات قبل رويّها مختلفة وإنما المستحسن من هذه الرائيّـَة سلامتها مما لا يكاد يسلم منه غيرها . فإن كانت المقيّدة مؤسسة ازداد اختلاف الحركات قبل رويّها قبحا . وذلك أنه ينضاف إلى قبح اختلافه أن هناك